العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

سلسلة سبل الرشاد

٣

سبيل

علي الشيخ

هبة السماء ...

رحلتي من المسيحية إلى الإسلام

إعداد

المشغل النقدي لجريدة صدى الروضتين

قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ شعبة الإعلام/ وحدة الدراسات

كربلاء المقدسة/ ص.ب (٢٣٣)/ هاتف:٣٢٢٦٠٠، داخلي:١٣٠

www.alkafeel.net

info@alkafeel.net

الكتاب:سبيل علي الشيخ.

إعداد:المشغل النقدي لجريدة صدى الروضتين.

المحقق:وحدة الدراسات/ شعبة الإعلام.

الناشر:قسم الشؤون الفكرية والثقافية.في العتبة العباسية المقدسة.

التصميم والإخراج الطباعي:رائد الأسدي/.نوار الحسيني.

المطبعة:دار الضياء–النجف الأشرف.

الطبعة:الأولى.

عدد النسخ:٢٠٠٠.

ربيع الأول ١٤٣٠هـ/ آذار ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّـذِينَ اجْتَنَبُـوا الطَّـاغُوتَ أَن يَعْبُـدُوهَا وَأَنَـابُوا إِلَى اللهِ لَـهُمُ الْبُشْرَ-ى فَبَشِّرْ- عِبَـادِ الَّـذِينَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَـوْلَ فَيَتَّبِعُـونَ أَحْسَـنَهُ أُولَئِـكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

سورة الزمر١٧-١٨.

تمهيد

لا شك ان علائق الولادة والنشأة في مدينة كبيرة مثل بغداد التي ولدتُ بها، لها مؤثرات جاذبة على شخصية طفل ولد من عائلة مسيحية مؤمنة بدينها.وهذا الايمان كفيل بالتزامها وعمق تمسكها بتعاليم الكنيسة، والتي تخلق من أثر هذه النشأة تعويدا قويا قادرا على تنمية قابلية التمسك بالمنهج الموروث عن الآباء والأجداد.

لقد ملأوا أذني بحكايات كثيرة عن أيامي الأولى، وكيف أجريت لي مراسيم التعميد[1]، وهذه أصبحت من الأمور الطبيعية، لما رأيته عند الأهل والأقارب.فالأطفال حين يولدون، يعمدون:ويعني الغسل بالماء...، والغسل بالماء يعتبر عندنا رمزا للنقأوة، وحين بحثتُ عن نشأة هذا الاعتقاد، عرفت ان المسيحيين يعتقدون ان المسيح عليه السلام تبنى مثل هذا الطقس وجعله فريضة من فرائض الكنيسة المسيحية.

وقد جعل التعميد مثلما هو مدون ومروي باسم الثالوث المقدس، وهذا يشير الى علامة التطهير من الخطيئة والنجاسة، ويعتبر في ذاته هوية وانتماء وانتسابا رسميا الى الكنيسة المسيحية...، ومما يقبع في جوف الذاكرة الآن واتذكر ان والدي ارسلني وأنا

---

(١) **التعميد**:نوع من التغسيل دأب المسيحيون على غسل أبنائهم بعد ولادتهم في ماء أصفر اللون، ويجعلون ذلك تطهيراً للمولود من الذنب الذاتي الموروث من آدم عليه السلام -بحسب إعتقادهم-، وهو من فرائض الكنيسة.

ابن سبع سنوات الى الكنيسة، لأمارس التدأول المتعارف عليه في الكنيسة الشرقية[1].ففي بغداد عندما يبلغ الطفل سن السابعة من عمره يرسل الى الكنيسة في العطلة الصيفية ولفترة شهر، ليتعلم فيها الصلاة، وبعض الطقوس والاناشيد الدينية...، والتي –من الطبيعي– تنمو مع الطفل وتكبر فيه ليكون لها طعم طفولة موشاة بذكريات الكنيسة، فالطفل بهذا العمر له قابلية الاستقبال والحفظ لكل ما يقدم له دون عناء ودون تمييز فكري من قبله.

هذه المرحلة –مرحلة الطفولة– تعد من المراحل التلقينية المؤثرة التي يُعتمد عليها في بث التعاليم على علاتها، وهذا الامر سيساهم في خلق تعويدية تقأوم أي شك، أو ظن، أو ريبة معينة في المستقبل...فكانت هذه الفترة فترة خصوبة كما يريدها الاهل.تعلمت فيها الكثير من الامور الكنائسية، بعدما تم تهيئتي نفسيا، واعدادي اعداداً

---

(١) بعدما إجتمع المجمعين الشرقي اليوناني، والغربي اللاتيني، المنعقدين في مدينة القسطنطينية انقسمت الكنيسة اليونانية على كنيسة روما وصارتا كنيستين:إحداهما تسمى **الكنيسة الغربية البطرسية**، التي تدعى أنها من أعمال بطرس الرسول كبير الحواريين، وأن جماعات البابا خلفاء عنه، كما تدعي أنها صاحبة السلطان الديني، وأن سلطانها يمتد إلى بلجيكا، وإيطاليا، وإسبانيا، وفرنسا، والبرتغال.والأخرى تسمى **الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية**:فلا تعترف إلا بالمجامع السبعة التي سبقت مجامع القسطنطينية التي حدث فيها الخلاف والافتراق، كما لا تعترف لبابا روما بالسيادة، أو الرياسة (وإن كان موقفها الآن قد تغير لعوامل الزمن، ومحاولة التقرب، فترى له الأسبقية بالتقدم لا بالسلطان، وترى أن بطريرك القسطنطينية هو الذي يليه في الرتبة مباشرة.و سلطانها في بلاد روسيا ، واليونان، والصرب، وجانب من جزر البحر الأبيض.وإلى هنا فقد تقرر تاريخيا الانفصال بين الكنائس:١ – الكنيسة المصرية بالإسكندرية وحدها .ومقر رياستها القاهرة.٢ – الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية وحدها:ومقر رياستها القسطنطينية.٣–الكنيسة الغربية البطرسية البابوية وحدها:ومقر رئاستها روما.

أُنظر:أضواء على المسيحية لمتولي يوسف شلبي/ص١١٤/ ط.الأولى؛ ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م، ط:الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع.

فطنا يدعمه زخم تشجيعي، يشكل دافعا من الدوافع المهمة في حياة الانسان، وخاصة انسان تلك المرحلة العمرية التي تمتاز بحب الظهور، وترى ذلك التعلم سبيلا للتعلم السريع.وكل هذه العوامل تساعد على بناء شخصية الطفل، بناء مؤثثا برغبات الاهل.

ولاشك ان ذلك الاحتضان الروحي بما فيه من حلاوة التفرد كالتشجيع والاعتناء والاهتمام والمفاخرة به امام الناس، بما يمتلك من قابلية ادراكية ايمانية، سيعمر بالتأكيد حصنا منيعا مشيدا من الذكريات التي كونت شخصيته، مما سيصعب عليه الزوغان منها مستقبلا...

كيف له ان ينسى مثل تلك الطقوس والاناشيد الدينية التي ستصاحبه حتى شيخوخته بل حتى يومه الاخير...؟

ومن الطبيعي جدا أن تترسخ في النفس مثل تلك العقائد والتعاليم عندما يبلغ الانسان ويشتد عوده، فيمارس مثلما كنت امارس الطقوس الدينية من صلاة وصيام والذهاب بانتظام الى الكنيسة، ولاسيما فيما يسمى (**القداس الكبير**) الذي يقام في عصر يوم الاحد.وآلفت مشهد اعلان التوبة وطلب المغفرة من الرب، ويتم ذلك بالاعتراف الصريح أمام الاب في الكنيسة، إذ كان الاب يدخل في غرفة صغيرة، لا تتعدى المتر المربع مصنوعة من الخشب، ولا ادري الى الآن لماذا الاعتراف يتم في غرفة ضيقة بهذا الشكل؟وكأن رحابة المكان وطلاقة السماء لا تتقبل الاعترافات..!

أو ربما كي لا نرى السماء، وهي خجلة من ذنوبنا التي نعترف بها في تلك الغرفة الصغيرة، والتي لها باب واحد مخصص للناس...

وجرت العادة أن يدخل المذنب ليجلس أمام الرب، ويعترف له بخطاياه، والاب يأمره بعدم الرجوع اليها...

ومثل هذه الاقرارات تأخذ شكلها الروتيني، والذي يعاد عند كل اعتراف، وكأنه مشهد من مسرحية تتكرر دائما...ويوجب الاب بعد ذلك عليه بعض الصلوات والتراتيل لاجل مغفرة تلك الخطايا.

التقليد الأعمى

ثمة امور قد تكون خططت بادراك من قبل الاهل أو ربما هو تعويد متوارث رتب من قبل رجال الكنيسة بذكاء.فعندما ترسلُ العائلة أحد اطفالها الى الدير، والدير مدرسة دينية خاصة تقع في بغداد، يتخرج منها الطالب قسيساَ.ومن ضمن قوانين الدير ان لا يبعث الطالب الى البيت الا مرة واحدة في السنة، ولفترة قصيرة كي لا يألف الاهل والبيت والناس، ولكي تنطبع حياة الكنيسة وتعاليمها الصارمة في عقله ونفسيته وذاكرته الخالية الا من ذكريات طفولة الكنيسة..

وهذا ما حدث لأخي الذي يكبرني، فبعدما ارسله أبي الى الدير، شعرت بفراغ وملل كبيرين..شعرت ان شيئا ما أصبح ينغص حياتي.هذا الفراغ المهول بغياب اخي عني.في شوق كبير اليه في كل وقت.وهذا الشوق سيؤدي بطبيعته الى الاشتياق الى الدير.ويبدو لي ان الاهل قد حسبوا كثيرا لمثل هذه الامور، فبين مدة واخرى يتم ارسال الطفل الثاني الى اخيه، تلك مسألة فيها الكثير من (الحذاقة).

فحنين هذا الطفل الى اخيه، سيتحول حنينا الى تلك الاجواء الصامتة التي سيحسها الطفل..وبالتأكيد ستهيمن عليه سطوة المكان، وتترك في نفسه الاثر الروحي، الذي سيتحول الى اسئلة اندهاشية، فيسأل اخاه عن الدراسة والموضوعات التي

يدرسونها.ولذلك مازلت الى الان اتذكر كثرة اسئلتي والإلحاح الذي كان يمتلكني.واتذكر ايضا تلك الاجوبة التي كانت تهزني دون ان افهمها في ذلك الوقت.فثمة غبطة تسري في كياني لاخي...غبطة على هذا الانزواء عن الناس، وهذا الابتعاد عن الاجواء ذات الحركة، والذي هو هروب عن الدنيا.

وتلك اشياء معدة سلفا، ومؤثثة بذكاء، والا ما الحاجة ان ندع الطفولة تستكين عند فيافي الانزواء، والابتعاد عن الناس في عمر مشهود له بالحركة والتآلف، وتكوين العلاقات العامة مع الناس، والانفتاحية التي لابد ان يتعودها الطفل بهذا العمر...

المهم ان تلك المؤثرات التي تحدث في الكنيسة لا تخص مرحلة الطفولة فقط بل ستنمو معه الى سن الشباب، ولهذا تجأوزتُ العشرين وانا مندفع تماما للتعمق في هذه المعتقدات.هذا ما اسميه المضمون المؤثث، اذ سيستقبل الشاب تلك المعتقدات لا عن وعي وبحث وادراك بل سيتنامى عبر تقليد اعمى والذي سيهيئ بطبيعته نوعية خاصة من الاستيعاب هو الاستيعاب العشوائي، وسيتقبل أي شاب بعد ان يمر بتلك المراحل المعدة بامعان تلك التعليمات والعقائد باقتناع دون وعي ودون ادراك، فكنت اؤمن حينها ان جميع تلك التعاليم، هي نفسها تعاليم سيدنا يسوع المسيح﵇ ولم يخطر في البال يوما من الايام بأني سأجلس للبحث والتدقيق في هذه العقائد، لكوني مررت بتلك المراحل كلها اضافة الى ذلك فانا اعيش الجو العام الذي ارى فيه اغلب الناس يعيشون الوضع بشكل اعتيادي فهم يحصرون انشغالات الفكر والعقل في وجهة واحدة هي البحث في اسباب ووسائل الحياة السعيدة في الدنيا...

ليس ثمة تفكير آخر يشغل أولئك الناس.فحسابات الآخرة والدين والعبادات والعقائد عندهم لها طعم آخر بحيث أصبحت ميتة فعلا، ولا تعدو على ان تكون مجرد

عادات وتقاليد متوارثة عن الاباء والاجداد، ونحن نمارسها بشكل آلي ، نمارسها كتقليد ليس باستطاعته أن يرى النور، فلذلك أصبح الحضور الى الكنيسة حضورا روتينيا، وكأنه غير معني بالتعلم والتعليم والوعي والادراك.صار في حسابات الناس ان هذا الحضور الى الكنيسة من بعض المكملات الدنيوية.فهي من الممارسات الاجتماعية التي لها حسابات في العرف الاجتماعي.هم يمارسون الفعاليات بشكل اكثر من روتيني، كاعلان التوبة وطلب المغفرة، وفي أحسن الاحوال الاستماع الى بعض النصائح الاخلاقية التربوية...

ولذلك ليس غريبا أن أنشأ، وانا اؤمن بأن المسيحية فقط هي الدين الحق، واما الاديان المتبقية فهي مجرد خرافات واباطيل؛ اليهودية باطلة لانها لم تتبع المخلص اليسوع المسيح، ولذلك هم يستحقون النار، والمسلمون كذلك مثلهم يستحقون غضب الرب نعم كنتُ حينها اؤمن بأن من لم يكن مسيحيا سوف يقصى من الجنة مهما فعل في دنياه من خير، والمسيحي الذي يؤمن بالمسيح سيدخل الجنة مهما كان عمله..

في طبيعة الأمر ان تلك الاراء لم تكن تكونت بشكل عشوائي، ولا هي من مدركات العقل..أي لم يكن ذلك الايمان يجيء من فراغ، ولذلك فهو لم يأتِ من بحث ومعرفة وانما ينبع من تأثيرات البيئة، والبيت، فالاب الذي يحمل عن الاسلام صورة سيئة تسيء الى شخصية النبي الكريم محمد، وهذا الاب يكرر دائما امام أولاده:ان المسلمين يسيئون الى يسوع المسيح الذي هو ابن الله ويسيئون كذلك الى أمه ويكذبونها ويسخرون منها...

فمن سيتوقع من طفل يعيش في مثل هذا البيت، وتحت رعاية أب، يحمل كل هذه الاراء، ان يقبل بسواها؟ومن يستطيع ان يقنع ذلك الطفل، بأن ما يذكره ابوه لا يمثل من الحقيقة شيء؟

هذه هي المكونات التي جعلتني اكره الاسلام والمسلمين...أب يطفئ التلفاز كلما يتلى القرآن.ومثل هذه الصور لابد لها ان تنعكس على حياة الطفل، وان ترتسم في ذهنيته اشياء سلبية فكيف لي ان أنظر الى الاسلام على انه دين حق، وانا ابن هذه البيئة؟ولذلك كان الدين الاسلامي عندي دين خرافات وبدع، جاء بها رجل من الجزيرة العربية يدعى محمد، وما كنت انظر الى القرآن سوى انه كتاب زعموا سمأويته وقدسيته، وما هو عندي في حينه سوى كتاب من تأليف نبيهم، وينسبون هذا الكتاب زورا الى الله سبحانه تعالى..

ومثل هذا الرأي لن يكون من مكونات بيت دون سواه أو هي مؤثرات ذاكرة عند شخص معين دون غيره فهذه الاعتقادات هي اعتقادات اغلب المسيحيين..

أسرار أم تناقضات؟

الحياة محطات، وكل محطة لها عوالمها ورؤاها ولها ظرفها الخاص، ومكوناتها المتفردة.وشاءت الاقدار ان اقف في محطة من محطات الغربة، التي جعلتني وجها لوجه مع نفسي ومع مؤهلاتي الاعتقادية، حيث جمعتني تلك المرحلة بكثير من الناس.فوجدت للمسلمين امورا لم اتعوّد عليها، فكانت غريبة عليّ، واحتاج فعلا الى حياة اخرى، أي تكوين آخر، لعلي استوعب مثل هذه النفوس العجيبة، التي تمتلك طاقة مذهلة في التحأور، لها عمق كبير يرتبط بحقيقة التكوين النفسي، ووجدت لهم ايضا ادراكات مستفيضة في فهم الاديان الاخرى.

حقيقة كنت اترجم عجزي بعجز آخر، عساه يبرر لي نكوصي في المواجهة، ما يبرر ان هذه المحاور ما هي الا سر من اسرار المسيحية، ولا يستطيع فهمها وادراكها الا المسيحي المملوء بروح القدس..ومن يعيش حياة كحياتي لابد ان يتفاجأ عند التحأور بأمور كثيرة، ومثل تلك النقاط التحاورية، والتي كانت تثير اندهاشي واستغرابي، وتدفعني الى مطالعة العقائد الاسلامية، فادركت حينها ان كتاب المسلمين المقدس فيه الكثير من الآيات التي تتحدث عن قصة يسوع المسيح وامه العذراء مريمﷺ.اندفع بشوق الى قراءة القرآن، تلك المطالعات أصبحت تذهلني فازداد اعجابا بالصفات العظيمة التي يصف بها القرآن الكريم المسيح وامهﷺ.

إحساسات غريبة تجعلني اتوسل البكاء عساه يشفع لي خضم تلك المأساة التي اعيشها –صعبة صعبة جدا ان تشعر في لحظة من اللحظات، ان ثمة بون شاسع بين ما رواه لك الاب والاخ والعم والاهل، وبين حقيقة تكشف كذبهم ومزاعمهم..هذه المسألة بإعتقادي هي الغفلة الحقيقية للكنيسة، فمهما تمادت في غلق ذهنية الأطفال وتطبيعهم على قبول الدين بانغلاقاته، مع تشويه معالم الكثير من الحقائق، ستواجه ذات يوم بالنقائض التي لها انفتاحاتها، لابد ان تضع الكنيسة في حساباتها مثل هذه المواجهات الفكرية التي تعري لها ذلك الارث المعلوماتي لتظهر الحقائق الصحيحة، وليس الحقائق المزعومة، ويبدو لي أن أبي مثلا كما هو حال جميع الأباء عندنا، ولنقل اغلبهم لم يضع في حسابه اني سألتقي يوما بمسلمين.

وانا اعيش في وسط مجتمع اغلبه منهم لم يتوقع يوما ان اقرأ القرآن لأكتشف زور ما يدعيه.تلك محنة..ومن سيدرك مثل محنتي؟فكل هذه الامور التي تطبعت عليها، وآمنت بها، سأضعها جانبا لعدم فاعليتها امام هذا الشعور الذي يتغلغل في اعماق وجداني.هذا

الميل العجيب للأفكار والمعتقدات التي يطرحها الإسلام.ورغم ذلك صرت اجمع بعض الشبهات التي كانت ترأودني لاستغلها فرصة...

أولا:لأفهم محتوى الاشكال فهما صحيحا.

ثانيا:لأماري به اصدقائي كي لا يفهموا شيئا عن هذا الميل والشعور الجديد، خشية ان تكون رغبة آنية سرعان ما تزول.

أشياء قد أعجز أن أدونها، لكنها رغماً عني تحيلني إلى شيء آخر، ربما إلى إنسان أكثر صخبا في داخلي، واكثر هدوءا أمام الناس يصل لحد الانكسار.كيف لا وأنا أعيش تذبذبا مهولا.تارة أؤمن، وتارة اكفر بما أؤمن.ثمة أحاسيس اكبر مني..مشاعر..أفكار..رؤى...مثل تلك الأشياء التي ضجت بي، وأنا اجلس مع أصدقائي الجدد..

قد تكون ضرورة من ضرورات السفر والغربة والارتحال..لكني لم أكن احسب يوما أني سأدخل مع إيماني في حلبة صراع، تحيل ليلي الهادئ إلى ليل مجنون، وتضج غرفة نومي المنزوية، بضجيج أسئلة تتراشق فوق رأسي الصغير..

عنيفة تلك الأسئلة...عنيفة تحتدم عند منامي فتحرمني المنام..ربما هذا هو عمق إيماني بإنسانيتي التي تصحو لتحمل عني تلك الإشكالات، تشخصها كما يشخصها البعض...منها ما هو لصالحي، ومنها الكثير الذي يكشف لي مثالب ديني...مؤدبون جدا أصدقائي، لا يريدون أن يمسوا معتقدي بسوء فيسمونها مثالب وممارسات المسيحيين، ولم يقولوا يوما ما يسيء إلى الدين رغم معارضتهم إياه.

يتوقد هذا الوهج الذي في داخلي وربما تعددت التسميات، فالبعض يشاء أن يسميها (ثقافة، تربية، رزانة...) لكن المسألة ليست بهذه السهولة إطلاقا..كيف صار لي أن

اجالس أصدقاء ينتقدون ديني ودين آبائي وأجدادي؟ينتقصون ما اعتنق من مبدأ آمن به أهلي وأرضعوني ولاء ما يعتقدون منذ صغري؟

اشتعل واحترق وتتناثر حولي كل تلك المعتقدات أمام مرتكزات فكر وثقافة ودين وتاريخ..هؤلاء الأصدقاء أحببتهم، لأنهم أبناء هذا الأنين الموشى بالحرمان، حملوا غربتهم هوية انتماء، فيهم الطالب والكاتب والصحفي، وفيهم الشعراء.

كل يوم يستعرضون أمامي تناقضات جديدة عن ديني.أكتم تلك الانفعالات وروح الحماسة والاندفاع برغبة المؤمن الحقيقي.بدأت أشعر إن عقلي بدأ يستسلم لهذه الحجج والأدلة التي طرحها الإسلام.وأحسست إن المعتقدات الإسلامية هي أقرب إلى فطرتي من عقائد آبائي وأجدادي، وكذلك قلبي هو الآخر قد تغيَّر؛ فبعد معاشرتي للمسلمين الملتزمين عن كثب، اكتشفت حبهم وتعظيمهم ليسوع المسيح وأمه العذراءﷺ ولاسيما من خلال النقاشات فهم لم يكونوا يذكرون المسيح وأمه إلا وأردفوها بـ(عليهما السلام).ويذكرون أهم الأحاديث الواردة عن نبي الإسلام وأئمة الدين بحق المسيح وأمهﷺ من حيث مدحهم وتعظيمهم، كل ذلك أدى إلى أن تتحول البغضاء إلى مودة وأنس، فبدأت أعيش مزيجا من الفرح والحزن.ولا أبالغ لو قلت أنه كانت تجري في أعماقي معركة حقيقية بين جنود الرحمن وجنود الشيطان...

جنود الرحمن يدفعونني للاستسلام لنداء الفطرة والعقل وإتباع الحق الذي كُشف لي، وفي المقابل جنود الشيطان توسوس لي بأنك:كيف تستطيع أن تترك دين آبائك وأجدادك؟

أرغم كياني أحيانا على البوح وسط هذا القلق المكنون في أعماقي..أصغي إلى ما يقولون فتهتز أمامي مكونات دين المسيحية، وأحيانا أقول لنفسي هؤلاء الناس معذورون

لكونهم يجهلون روح القدس...ثم سرعان ما تقودني تلك التناقضات إلى هوس يحتدم في داخلي.أحاسيس تتضارب وما أعنفها حين تتضارب الأحاسيس في جوف هذا الليل الذي آوي إليه لأستر ظنوني مخافة أن يزرع أولئك الرجال في داخلي الخوف..اعيش الصراع؛ هل سأترك ما ألفيت عليه آبائي وأجدادي؟هل سأنصاع لثرثرة تدور على طاولات المقاهي؟!

هي لعبة خطيرة..أية لعبة؟وهذه الأحاسيس تؤرقني وتأخذ مني حلاوة الليل والنوم، حتى صرت أحسد كل من ينام ليله هانئا مطمئنا دون صراعات.

قل هي مغامرة البحث للوصول إلى أعماقي.صرت أتحين الفرص لأستمع الى خطب العلماء المسلمين واقوال رجالات الدين خلسة عن اصدقائي، وفي أحد الأيام سمعت أحد العلماء يتحدث عن موضوع هداية الإنسان ومواقعها، وتلا آية قرآنية هزتني من أعماقي...

فكأنها تتحدث عن حالتي بالذات:﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ۞الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾[سورة الزمر١٧-١٨].

أقول لنفسي- دائما عليّ باستحضار التقابلات عند أي افتراض، ومثل هذا القول الكريم، يبعد عني ماهية الافتراض إلى يقين يهز الأعماق، لكني ما زلت أمام دوران وحركة ومساءات تستيقظ ونداءات تصحو، لتبتدئ البحث في معتقداتي أولاً، وتتعمق في أثره، عساني أصل بمقارنة بينها وبين المعتقدات الإسلامية.لا غرابة إطلاقاً أن أكتشف في لحظة من هذه اللحظات؛ أن تلك الأسرار ما هي إلا محصنات تسعى لعدم كشف ضعفها

وهوان أدلتها، وأن العقل لا يدركها وهي غير قابلة للنقاش عندنا (التثليث والبنوة والتجسيد) وغيرها من العقائد.

سأشير إلى ما هو واضح من العنأوين ينبثق منها وجه الحكمة، وقد أكون متأملاً في مديات لا تسمح الكنيسة بها، لكني قررت فعلا أن أصل إلى مدلولات كل نص من هذه النصوص، ومعرفة أبعادها، لأسير نحو يقينٍ يبعدني عن الميول والأهواء.وهكذا أدركت حينها أن عقائد الإسلام، تبتني على أدلة عقلية ولا سيما الأصل الذي تعتمد عليه وهو التوحيد.

التوحيد الذي فيه من المعارف الإلهية، ما يجعل الإنسان يفهم تلك المعارف ليعيش حياة توحيدية سعيدة في الدنيا قبل الآخرة.أيقنت حينها أن الجهل وإتباع الهوى، والغفلة هي العوامل الرئيسية التي تصرف الهدى عن الانسان، وعن الحق وقبوله.

فبدأت أتساءل مع نفسي:هل حقاً أنهم كانوا جميعاً على الباطل، وأنهم غافلون عن الحقائق التي اكتشفتها أنت؟وكذلك الأمر بالنسبة إلى أهلك فهل تستطيع أن تفهمهم بهذه الحقيقة؟وهل يقبلونك فيما لو علموا بأنك قد تركت دينهم واعتنقت الإسلام؟وأنت تعلم شدة العدأوة والبغضاء التي يحملونها إزاء هذا الدين، فكل هذه الترسبات كانت تعيش في صدري، وتقف حاجزاً دون إذعاني للحق، وراحت هذه المعركة تشتد في داخلي حتى أذكر إني ولمدة ثلاثة أيام لم أكن أشتهي طعاماً ولا شراباً إلا إذا اشتد بي الجوع، وأصابتني في هذه الفترة نتيجة لهذا الصراع الفكري والنفسي- حالة من الأرق لصعوبة اتخاذ القرار، لا سيما وأنا شاب واتخاذ قرار مصيري في مثل هذا الظرف، يُعتبر أمراً أشبه بالمستحيل.

فكيف لي أن أترك دين أجدادي بهذه السهولة، بعد سنين قضيتها وسط أعراف وتعاليم المسيحية شكلت الجزء الأكبر من ذاكرتي وشخصيتي؟عشت هذا الصراع المرير في داخلي بما ورثته وحملته كل هذه السنوات، وبما أراه الآن من عوالم تنفتح على سعة آهلة بالتأمل والتبحر.الأمر الذي يتوجب معه المقارنة بعد عرض وافٍ للديانة المسيحية التي هي بالأصل هي سلسلة من الديانات السمأوية المبشرة بالدين الإسلامي.

التأمل الواعي

كنت عند التحأور مع نفسي، اصبح وكأني اثنان؛

س:كم يبلغ عدد الكتاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس؟

يبلغ عددهم ٤٠ كاتباً وهم من جميع الطبقات، فبينهم الراعي، والصياد، وجاني الضرائب، والقائد، والنبي، والسياسي، والملك و..و..

س:الفنرة الزمنية؟

استغرقت مدة كتابة الكتاب المقدس ١٦٠٠ سنة وكان جميع هؤلاء الكتاب من اليهود ما عدا (لوقا) كاتب الإنجيل الذي دعي باسمه.

إذ يظن أنه كان أمياً من أنطاكيا...علماً أن النسخ الأصلية من الكتاب المقدس ليست موجودة الآن.

التعريف بالكتاب المقدس

وتسألني أناي التي تحأورني:لماذا انقسم الكتاب المقدس إلى عهدين؟

فأجيب:المسيحيون يعتقدون إن العهد القديم كان تمهيداً للعهد الجديد، وان العهد الجديد هو المتمم له.

س:بأي لغة كتب العهـد القديم؟

كتب أكثر العهد القديم باللغة العبرانية، وقد وجدت بعض الفصول باللغة الآرامية وهي لغة شبيهة بالعبرانية، والعهد القديم الموجود بين أيدينا مأخوذ عن النسخة الماسورية التي أعدتها جماعة من علماء اليهودية في طبرية من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر للميلاد.

تسألني أناي:وكم سفرا يحتويه؟

قلتُ:يتألف العهد القديم من (٣٩) سفراً، وقد قسم اليهود أسفار العهد القديم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:التوراة أو الناموس:وهي أسفار موسى (ع) الخمسة:

١- (تك):سفر التكوين، ويسمى:سفر الخليقة.و(بس) بالعبرانية (جرنشيت).

٢- (خـر):لسفر الخروج، ويسمى:(واله شموت).٣- (الـلا):سفر اللأونين و(يقرا) .٤- (عـد):سفر العدد، ويسمى بالعبرانية:(ويد بر).٥- (تـث):سفر التثنية، وهو الخامس.وايضا يسمى:(دبارين).

س:هل ثمة اسفار أخرى؟

نعم هناك (يش):لسفر يشوع النبي.(قض):لسفر القضاة.(را):لكتاب راعوث.

(أصم):لسفر صموئيل الأول.(اصم):لسفر صموئيل الثاني.(أمل):لتاريخ الملوك الأول والثاني.(مل):لتاريخ الملوك الثاني.(ال):لتاريخ الايام الأول والثاني.

(عز):لكتاب عزرا.(نح):لكتاب نحيا.(اس):لكتاب استر.(اي):لكتاب ايوب.

(مز):لمزامير دأود، أي:الزبور.(أم):لامثال سليمان.(جا):لكتاب الجامعة المنسوب لسليمان.

فقالت مستغربة:أوه انها اسفار كثيرة...

فاردفتُ مكملا قولي:صبرا فهناك اسفارا اخرى...

(نشيد الانشاد، اشيعا، ارميا، مراثي ارميا، حزقيال، دانيال، يوشع، يوئيل، عاموس، عوبد، يونان، يونس بن متي، ميخا، ناحوم، حيقوق، وصنفينا، حجي، زكريا، ملاف ...).

وأما الأسفار القانونية اللاحقة فهي:(سفر طوبيا، يهوديت، نبوءة باروك، المكابين..).فاجأني سؤالها الذي يشي بحنكة معرفية عالية...

اذ قالت:وماهو الاختلاف بين عهدكم القديم وبين عهد اليهود القديمة؟

فقلتُ:يعود هذا الاختلاف إلى اختلاف اللاهوتيين اليهود أنفسهم، فالبعض يصرحون في الواقع إن:(روح الله هو الذي يوحي) ولم ينزل على أحد منذ غياب الأنبياء مثل:(حجي- زكريا - ملاخي - وبعض الفئات الأخرى من اليهود الأسانيين في قمران، واليهود المشتتين في المعمورة) تمسكوا باستمرارية الوحي.والكنيسة تمسكت بدورها بهذه الاستمرارية مستندة في ذلك إلى حادثة المسيح عليه السلام، والرسل أيضا تتمسك بالترجمة (السبعينية) وهي:(ترجمة يهود الإسكندرية للعهد القديم إلى اللغة اليونانية).

س:كيف ظهرت إذا؟

ظهرت تدريجيا لمدة حوالي خمسة عشر قرنا لتؤلف لنا العهد القديم، وهو عهد تمهيدي لمجيء اليسوع ويستشهدون بالكثير من النبوءات...

سؤال:هل هذه الاسفار التي بين أيدينا من العهد القديم أم الجديد؟

فأجبت روحي:من العهد القديم.

فقالت:على اقل تقدير هناك شك بأن أغلب هذه الأسفار استنسخت ولا يمكن الوثوق بالنسخ المترجمة.

فأجبتها:هذا هو سبب اختلاف علماء الكتاب، فنحن وعلى أساس إيماننا بالله ورسالاته وعلى اختلاف المذاهب والأديان، نؤمن بأن الأنبياء الإلهيين هم من أفضل البشرية، وعليه نستطيع القول بأنهم معصومون من الذنوب والخطايا التشريعية، وعلى الأقل هم صالحون.ولكننا للأسف نجد في هذه الأسفار وفي مواضع كثيرة نسبة المعاصي والخطايا الكبيرة لهؤلاء الأنبياء العظام، كشربهم للخمر والزنا وفعل المحرمات وغير ذلك من الأمور التي يأبى كل مؤمن القيام بها، فهي تركز على خطاياهم.فقد جاء في العهد القديم إن:نبي الله لوط شرب الخمر وسكر ثم زنى ببناته ومن ثم حملن منه:

فقالت اناي مندهشة:في أي سفر هذا؟

قلتُ:هو(سفر التكوين - ١٩-١- ٣٨).

وجاء عن النبي سليمان (ع):

إن السنوات الأخيرة من حكمه كانت مؤسفة، فقد بدأ بتعدد الزوجات وأحب نساء كثيرات إضافة إلى بنت فرعون(زوجته).وكانت له سبعمائة زوجة وثلاثمائة من السراري، استطعن أن يميلن قلبه إلى الآلهة الغربية، فبنى أماكن عبادة للأوثان إرضاءً لهن فغضب الرب عليه!!!

اندهشت أناي الحائرة:وهذا في أي سفر بربك؟

:أوه انه (سفر الملوك:١١-١- ٢٥)

وكذلك قصة نوح النبي (ع) إذ ينقل في العهد القديم:إنه صنع مسكراً وشربه وسكر فكشف عورته أمام أولاده فغطوه:

(سفر التكوين-٩-١- ٢٩)

ويعقوب (ع) تصارع مع الرب؟!

قاطعتني صائحة:ما هذا الذي تؤمنون به؟إنها اشياء غريبة، وتحريفات كثيرة، وقصص عجيبة...كيف يتعرى الأنبياء؟

قلتُ :في القصة الواحدة مثلا نرى إن بعض الأسفار تخالف الأسفار الأخرى بل ونجد في السفر الواحد بعض التناقضات وأمثال هذا كثير في أسفار العهد القديم وهو ما يقودنا إلى القول بأن هذه الأسفار من وحي ونتاج العقل البشري ويستحيل قبولها على أنها وحي إلهي.

العهد الجديد

وتسألني أناي:بأي اللغات كتب العهد الجديد؟وهل ألغي العهد القديم؟

قلتُ:العهد الجديد يعتبر متمماً ومصدقاً لما جاء في العهد القديم، وهو الأساس لكل العقائد المسيحية.ويعتقد بعض علماء الكتاب المقدس:إن العهد الجديد قد كُتب بلغة يونانية تسمى (بالكوني) وهي اللغة العامية ممزوجة ببعض الاصطلاحات العبرانية، وأهم النسخ الكاملة من العهد الجديد هي (النسخة السينائية) و(النسخة الفاتيكانية).إذ يُعتقد انهما كتبتا في القرن الرابع الميلادي، وكذلك (النسخة الإسكندرانية) في القرن الخامس الميلادي،...

صرت أضيق بها ذرعا، فأسئلتها لي أسئلة غير ودودة، وكأنها تحاكمني.والمفروض بها أن تفهم بأني الآن باحث عن الحقيقة.ألم تؤمن مثلما أؤمن؟فلماذا تجلسني طوال الليل لتحاكمني؟لماذا لا أحاكمها أنا؟لماذا لا أسألها أنا؟

ولكنها تعود لتسأل باصرار أكبر...كم سفرا يتألف العهد القديم؟

فأجبتها:انك تسألينني، وكأنك لا تعرفين شيئا!!! فالعهد الجديد يتكون من (٢٧) سفراً، وهي الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، وعدة رسائل لبولس وبطرس ويعقوب ويهوذا ويوحنا مع رؤية يوحنا، ويرجح أن يكون كاتب الأناجيل الأربعة هو الرسول (متي) أحد الاثني عشر رسولاً، وقبل ان تسألي سأجيبك:

١ – انجيل متي:وهو لأوي بن حلفي، وكان عشّاراً يجمع الأموال للحكومة الرومانية كُتب بالعبرانية أو الآرامية (التي كانت لغة فلسطين) وترجم بعد ذلك إلى اليونانية.ويُحتمل إنه كُتب بين (٣٧ إلى ٦٣) ميلادي.ويُسمى هذا الإنجيل مع إنجيلي مرقس ولوقا بـ(الأناجيل المتوافقة أو الإزائية) وذلك لأنها متشابهة إلى حد كبير، ويحكي أحداثاً وأمثالاً لا توجد في الأناجيل الأخرى، كما إنه الإنجيل الوحيد الذي يشير إلى الكنيسة ويذكر باسم الكنيسة على وجه التخصيص.

٢ـ انجيل مرقس وهو أحد تلامذة بطرس الرسول، نسيب الرسول برنابا أحد وجهاء كنيسة أورشليم القدس وكبار المبشرين بالإنجيل وكان ابن امرأة اسمها مريم ساكنة في أورشليم والظاهر إنه اهتدى إلى الإيمان المسيحي بواسطة خدمة بطرس ٣ـ إنجيل لوقا:رفيق وصديق (بولس) ويذكر انه كان مع (بولس) في قسم من اسفاره...من ابوين يونانيين في انطاكية.وكان يمارس الطب، ويقال كان رساما وتتلمذ لـ(بولس) وكان غالبا في صحبته الى ان استشهد (بولس) فتركه، الا انه لا يعرف أين قضى بقية عمره واين مات؟

٤ـ إنجيل يوحنا:أحد التلاميذ المقربين جدا ليسوع المسيح كان تلميذا ليوحنا المعمدان (يحيى) عليه السلام، ومن ثم دعاه عيسى عليه السلام فأتبعه وأخيه يعقوب،

فأصبح هو ويعقوب وبطرس من التلامذة المقربين ليسوع عليه السلام، هرب مع بقية التلاميذ لما امسك بالمسيح (ع).لكنه أودعه المسيح (ع) العناية لأمه العذراء (ع) ويرى البعض انه من تأليف طالب من طلبة الإسكندرية، وأما زمن كتابة هذا الإنجيل يحتمل انه كتب بين سنة (٦٩- ١٠٠) ميلادية.

والمسيحيون يعتمدون على هذا الإنجيل في إثبات الوهية المسيح (ع) أكثر من بقية الأناجيل إضافة إلى ذلك فإنه ينقل عن المسيح (ع) بعض المعاجز التي لم تُذكر منها في أي من الأناجيل السابقة.

فقالت لي:ولكن هناك عندكم اسفار ورسائل؟

قلتُ:نعم هناك...وهي:

سفر أعمال الرسل

السفر الخامس من أسفار العهد الجديد باسم رجل يدعى:(ثأوفيليس)، وهو نفسه الذي كان قد أهداه الإنجيل، ويعتقد إن مؤلف هذا السفر هو نفسه (لوقا الإنجيلي) وقد كتب بين سنة ٦٤-٧٠ميلادية باللغة اليونانية التي كتب بها إنجيل (لوقا).وأما الرسائل تتألف من قسمين رئيسيين:

(رسائل بولس، والرسائل العامة).

و(بولس) له اسمان:

الأول:عبري وهو (شاؤل) ومعناه:المطلوب، الثاني:(بولس) ومعناه:الصغير،.وحضر- في أورشليم عند أحد أكابر علماء الشريعة اليهودية واسمه

(جملاييل) وكانت له ثقافة (يونانية – رومانية) إضافة الى ثقافته اليهودية، وكان يعرف اللغة الآرامية والعبرية واليونانية.

كان حاراً حاذفاً شديد الإنفعال وعند ظهور الدعوة المسيحية شنَّ حرباً شعواء ضد المسيحيين، فقد كان يضطهدهم كثيراً وكان من الذين ساقوا التهم الى أول شهيد في المسيحية (إستفانوس)..!

والرسائل العامة:

وتدعى بالرسائل (الجامعة) لأنها لم توجه الى جماعة مفردة من المسيحيين بل الى الكنيسة المسيحية جمعاء وتضم:

رسالة يعقوب:أول أساقفتها بعد رحيل بطرس إلى أنطاكية، تحتوي على حكم ونصائح وتعليمات للسلوك المسيحي.

رسالتا بطرس:وكان يسمى سمعان وأبو يونا.وقد سماه المسيح (ع) بعد متابعته إياه بطرس أي:(صخر) ويرجح إنه احد تلاميذ يوحنا المعمدان (يحيى) (ع)

هذه التوصيفات والتشخيصات لتفريعات كثيرة تسبب كما تقول أناي الواقفة امامي ليل نهار بانها التيه والتمزق ورغم هذه الكثرة فهناك (الكتب المنحولة) والتي رفضتها الكنيسة تصل لمائة كتاب مثل انجيل يعقوب، سيرة مريم العذراء، ومتي يروي معجزات الولادة وانجيل ميقوديموس انجيل ابيو نيين المصريين، انجيل العبرانيين، انجيل بطرس، انجيل توما وغيرها.

اشارت إليّ ان(قف) فهناك على ما يبدو شيئا ما تريد ان تشير إليه...

فسألت بعد برهة صمت:لماذا افتعلوا ضجة كبيرة حول انجيل برنابا؟

قلتُ:لانه يوافق بشكل عام القرآن الكريم في عامة قصصه، ويُذكر فيه النبي محمدﷺ صريحا باسمه كخاتم للانبياء.

اصل هذا الكتاب قد عثر عليه باللغة الايطالية عثر عليه راعي يدعى:(فرامرينو) واعتنق الراهب الاسلام.والمهم ان المسيحيين يعتقدون بوجود هذا الانجيل ولكن الكنيسة لم تعتبره من الكتب الملهمة، رغم محافظتها على التعليم الرسولي.فقد فُقدت النسخ الاصلية لهذه الاسفار وحتى النسخ الأخرى مفقودة.

وهل يؤمن مثقفو المسيحية بهذه الشبكة العنكبوتية؟

فأجبتُ:يا أناي العزيزة يرى الدكتور (موريس بوكاي):ان الاناجيل تحتوي على مقاطع من انتاج الخيال البشري والدكتور (كينيث كراج) يقول:ان الاناجيل جاءت من فكر الكنيسة وآراء المؤلفين.وان الاناجيل تمثل التجربة والتاريخ.أما الدكتور (كارل اندريه) استاذ الفلسفة والدراسات الدينية في جامعة بول يقول:ان الاناجيل قد كتبت من قبل اشخاص متحمسين بالحركة المسيحية المبكرة، وانها تعطينا جانبا واحدا وهي الى درجة كبيرة، نتاجات افتراضات المؤلفين.

ويرى الدكتور جراهام سكروجي:إن الكتاب المقدس بشري، وقد مرت الأناجيل عبر عقول الناس وهي مكتوبة بلغة الناس، وخطت بأقلام الناس وأيديهم وتحمل في أساليبها خصائص البشر.

فالعهد الجديد ما هو إلا نتاج تاريخي يحكي بعض الوقائع، فهو كتاب من نتاج الخيال البشري ليس إلا...فلا وجود الى يد الغيب فيه.

نقاشات فكرية

جلست روحي وهي تقود أناي الواقفة امامي، بعدما غيرت نبرة منطقها:

تعال يا صاحبي لنتفاهم؟

قلتُ :أتسميني الآن صاحبي، وأنت في داخلي وأنت جزء مني ولكن كل هذا لا يبرر لك القوة ولي الضعف فضعفي ضعفك وقوتي قوتك وأما ان نكون اثنين ونحن في جسد واحد لايمكن ذلك...أنا أحب المسيحﷺ لأني أعتقد إنه ابن الله الحبيب الذي أرسله (الله) الأب لخلاص العالم، فهو ليس إنساناً وليس له أب كبقية الناس.وكان اسمه دائماً يشير إلى أبيه (الله).وأعشق مريم العذراءﷺ لأنها والدة (الله) كما نردد في صلاتنا، ولم يخطر في بالي يوماً إن يسوع المسيحﷺ هو إنسان كباقي البشر، لأن تعاليم الكنيسة تؤكد دائماً على الجينة اللاهوتية له...

فأجواء البيت والكنيسة والمجتمع المسيحي الصغير الذي يحيطني كلها تساعد على تركيز هذا المعنى في قلبي وعقلي.وهي من الأمور المسلمة.

وأما هذه التناقضات التي صرتُ أسمعها لا تعنيني لأن المسيحي يجب أن يتبع ما تقوله الكنيسة.ويأخذه أمراً مسلماً به..

برهة صمت

ولكن الآن بدأت أدرك لايمكن قبول فكرة (البنوة) بأية حال من الأحوال بعد دراسة أصول الدين وبحوث التوحيد التي تنزه الخالق تبارك وتعالى عن أوصاف المخلوقين مثل:(البنوة - التثليث- التجسيم).

قالت حينها:الا تشعر ان من الغريب ان لا تذكر الاناجيل قصة ولادة المسيح إلا في إنجيلين (متي – لوقا) على إختصار شديد، وأما طفولته فلم تذكر الأناجيل شيئاً عنها، ومما يؤسف حقاً إننا لا نمتلك أية معلومات عن حال هذا الطفل المعجزة، فقلت لها:يذكر أن المسيح عليه السلام في سن الثلاثين، ترك الناصرة واعتمد من قبل يوحنا المعمدان (يحيى)، وعندما سجن يوحنا المعمدان، بدأ يسوع المسيح عليه السلام دعوته الرسالية في الجليل، وبدأ بإظهار المعاجز وأول معجزة ظهرت للمسيح عليه السلام هو تحويله الماء الى خمر من عرس قانا بالجليل (يو-٢)

وعندما أعلن إنه النبي المقصود رفضه قومه وأهل بلدته، فغادر الى (كفر ناحوم) واتخذها مركزا لبث دعوته ونشر رسالته، واختار من تلاميذه إثني عشر تلميذاً مقرباً ليكونوا رسله، فذاعت شهرته كما وصلت الى الذروة في معجزة اطعام الخمسة آلاف، وقد عزمت الجماهير على تتويجه ملكاً ولكن المسيح عليه السلام رفض وانسحب الى الجبل وذهب الى صور وصيدا وقيصرية فيليس.

استمرت معاجزه عليه السلام الى أن اقترب موعد رحيله فقصد أورشليم في المساء السابق لصلبه فغسل أرجل تلاميذه ثم صلى ثم جاء (يهوذا الاسخريوطي) الخائن مع جمع كثير فسلمه اليهم وهرب التلاميذ كلهم.

سألتني حينها:وما قصة صلب المسيح عليه السلام واختلاف رواياتها في الاناجيل؟

قلتُ:يعتقد المسيحيون إن المسيح عليه السلام قد صلب ومات وقام من الأموات في اليوم الثالث، واختلفت الروايات في قضية إلقاء القبض عليه إن (يهوذا الأسخريوطي) تقدم الى المسيح عليه السلام وقبّله، وكان قد اتفق مع العسكر على علامة يدلهم بها على المسيح وهي تقبيله عليه السلام فألقوا القبض عليه، وفي إنجيل يوحنا ينقل:

إن المسيح عليه السلام هو الذي خرج اليهم وقال:مَنْ تطلبون؟

وحتى في طريقة موته عليه السلام تذكر بعض الأناجيل إنه صاح معاتباً ربه:

(إلهي إلهي لماذا تركتني ...؟)

أما في بعض الأناجيل الأخرى أسلم الروح بطمأنينة:

(يارب في يديك أستودع روحي)

فعقبت أناي:

أما في قيامته فكثرت الروايات وزاد الإختلاف، يُقال:إنه قام من قبره بثياب بيضاء لمريم المجدلية، ورواية أخرى تقول:إنه اختفى من قبره والبعض يقول:إنه ظهر لسمعان، ويرى البعض الآخر:إنه ظهر لتلامذته وأكل معهم سمكاً وعسلاً؟

قلت:وجاء في إنجيل (متي) متفرداً في قصة يهوذا الخائن:(إنه ندم وردّ الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ ثم مضى. وخنق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة واشتروا بها حقل الفخاري وجعلوها مقبرة للغرباء).

فتسألني:وما هو موقف الكنيسة من هذه الروايات؟

قلتُ:اختارت كل ما يصب في صالح العقيدة التي تريد هي أن تلبسها للمسيح عليه السلام وتعاليمه.والمشكلة إن جميع الأناجيل والأسفار لم تذكر شيئاً واحداً عن مريم عليها السلام وهي والدة المسيح عليه السلام ولم يذكر عنها إنها رأت المسيح عليه السلام بعد قيامته ولم تحضر عند قبره.

ضحكت حينها أناي مسلطة عليّ بنقمتها واسئلتها الحادة...

فسألت غاضبا:لماذا تضحكين؟

تقول:هل يعقل إن المسيح عليه السلام يظهر لمريم المجدلية التي أخرج منها سبعة شياطين ولا يظهر لأمه العذراء مريم عليها السلام؟

إنسان أم إله؟

قالت لي أناي:هو سؤال حيرني كثيرا وراح ليصبح جزءا لا ينفصل من وسأوسي:هل المسيح إنسان أم هو إله؟أو لنقل هل هو ابن الله؟

وفي رسالة (بولس) الى الرومانيين يقول:(بإنسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس فالخلاص يؤكد بإنسان واحد وهو المسيح).

حتما لقد اثار في هذه الساكنة ذاتي، وهي فيها اشياء رائعة لابد لي ان انتبه لها وخاصة ان الكنيسة قد قبلتها واعتبرتها ركناً من أركانها، وفي الواقع إن الإنسان يبقى مندهشاً عند سماعه لمعنى أن يكون المسيح إنسانا وابن إنسان وهو (الله) وفي نفس الوقت ابن (الله)، فالكنيسة تصر على تسميته:ابن (الله)، وما ذكرته الأناجيل الموافقة:(متي- مرقس- لوقا) إنه دائماً ما يطلق على نفسه ابن الإنسان، وأما ابن الله فهي محرفة.

س:والعهد الجديد ماذا يقول عن يسوع؟

قلتُ:العهد الجديد يعلن أن يسوع هو ابن الله وهو الله ذاته.

قالت سائلةً:والثالوث؟

اجبتها:المسيحيون يعتقدون بإله واحد له ثلاثة أقانيم:(الأب، والابن، وروح القدس) والتثليث مجرد إعلان خارجي وهو موضوع ظهر عند:(اريوس) وتبناه (اثنايوس) الذي وضع أساس العقيدة (الثالوث الأقدس) وجرت معارك بين العلماء وعقد أول اجتماع سكوني في عام ٣٢٠ ميلادي في نيقية.

فالعهد القديم لم يوضح الثالوث الأقدس، بل كان جل اهتمامه وهدفه هو أن يركز مفهوم وحدانية الله سبحانه في نفوس بني اسرائيل وكفهم عن عبادة الأوثان، ولهذا فنحن لم نعثر في العهد على اشارة الى هذا الثالوث، وجاءت كلمة أب مجازية لا حقيقة، ويعنون بها:(أب الأبرار والصالحين) وإلا فإننا نجد الوصية الأولى:

(اسمع يا اسرائيل إن الله ربنا رب واحد) فالعقيدة لم ينطق بأسمها احد وإنما برزت الى الوجود في القرن الثاني وعلى لسان (ترتوليان) فالمسيح﵇ والرسل والتلاميذ لم يشيروا الى هذه العقيدة، ولذلك نرى صفات الله في العهد القديم:

(الموجود الذي ليس له بداية ولا صيرورة وهو الأول والآخر)

فقالت:ويعني هذا ان كثيرا من الأوصاف يخالفها المسيحيون في عقيدة الثالوث، والحقيقة فأن المسيح﵇ جاء مكملاً لشريعة موسى﵇ وقد التزم بنفسه بهذه الشريعة، فقد اختتن في اليوم الثامن من ولادته حسب شريعة موسى﵇ وفدى والديه الذبيحة للرب بحسب الشريعة ودفع ضريبة الهيكل وغيرها من الأعمال، لكننا نرى إن المسيحيين تخلوا عنها حتى أصبح المؤمن بعيسى﵇ لم يعد بحاجة الى شريعة !

المسيح والشريعة

قلت:والله الذي اعرفه ان بولس يرى إن الشريعة كلها تلخصت في وصية واحدة وهي المحبة:(لايكن لأحد دين إلا محبة بعضكم لبعض) فمن أحب غيره أتم العمل بالشريعة، فالوصايا التي تقول:(لا تزنِ – لا تقتل – لا تسرق) وسواها من الوصايا تتلخص في هذه الوصية:(أحب قريبك مثلما تحب نفسك) فالمحبة تمام العمل بالشريعة.

وأعتقد إن المسألة تبدو الآن أكثر وضوحاً، فالمسيح﵇ جاء متمماً ومكملاً للشريعة، وأكد كثيراً على حفظ الشريعة والعمل بها مع الإيمان به، فهو لم ينقض الشريعة إطلاقاً ولم يهملها، بل عمل بها وأمر بعدم تركها.

أومأت لي وهي تطلب برهة للحديث وقالت:إذا لماذا ابطلت الشريعة؟ومن الذي ابطلها؟دعنا نتفاهم كي لا تصير اسئلتي كأنها استجوابات متهم...

قلتُ لها:هي كذلك فكل ما في كلامك يحملني مسؤولية ما اقترفته الكنيسة من أخطاء والا فقولي لي من هو بولس؟الذي هو برأيي أول من أبطل الشريعة هو لم ير المسيح اطلاقا وليس من تلاميذه ولا من رسله.

فقالت:إذن السؤال يكمن في قضية قبول المسيحين بافكار رجل لا علاقة له بالمسيح.

قلتُ:ولزيادة المعلومات، كان من أشد أعداء المسيح﵇ وأتباعه ثم اعتنق المسيحية، ويدّعون أنها تعاليم المسيح﵇، ولهذا قال بعض الباحثين:إن المسيحية الحالية لجديرة بأن تسمى:(البولسية) بدلاً من المسيحية.

قالت:عجيب؟

قلتُ:والاعجب حين يصف المسيح بأنه صانع خمر جيد ويسيء الى أمه مريم العذراء ينهرها يقول لها:(مالي ولكِ يا امرأة..!!)، وقد تكررت هذه الإساءة في الأناجيل لأمه، فهل يا ترى يقبل مؤمن نسبة هذه الأفعال الى المسيح﵇؟هذا النبي الطاهر الذي بعثه الله لهداية الناس؟وإذا به يصنع الخمر للناس كي يسكروا به؟

فقالت أناي التي تعايشني الهم والالم والسقام:والى الآن لم تنفر بعد من تلك المعتقدات الموجودة في هذه الكتب المحرفة لغايات قصدها المساس بربوبية الله تبارك وتعالى وملائكته وكتبه ورسله.

البشارة

وكأني اراها ترفع مطرقتها لتطرق بها منضدة القضاء !! وكأني اسمعها تقول لي قف ايها المتهم:أنت تعتقد أن المسيح عليه السلام ختم النبوة!!!!

وأنه سيعود في آخر الزمان وانه تنبأ بأدعياء النبوة !!!

قلت:مهلا فتلك اشياؤهم؛ اشياء الكنيسة التي تعلقت في ذهني وتلك اشياء أبي وبقية الكبار من أهلي ولا رأي لي فيها.

فأجابتني:(طيب)...الآن وقد أدركت من خلال بحوثك ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم) أشرف الناس نسباً، وأحسنهم أدباً وخلقاً، وأعظمهم شأناً، وأوسعهم رحمة ولطفاً، وأصبرهم على المصائب والمحن، واتضح لك أن القرآن الكريم من الكتب السمأوية التي لم يصل التحريف إليه، وفيه من التعاليم والإرشادات والمعارف الراقية ما يبهر العقول والقلوب، والهدف من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو الرحمة لإيصال الإنسان الى مكارم الأخلاق، والقرآن الكريم احتج على أهل الكتاب، بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بُشِّر به في التوراة والإنجيل، فلماذا لم يحتج أهل الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم إن كان هذا الإدّعاء غير صحيح؟ولأنكروا البشارة في كتبهم، والباحث في التاريخ يجد أن البعض من علماء أهل الكتاب، ولاسيما النصارى، بعدما أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم آمنوا به واعتنقوا الإسلام، وقصة الراهب، وسلمان الفارسي، وغيرهم الكثير تؤيد هذا الكلام، ويؤكد القرآن الكريم بأن يسوع المسيح عليه السلام قد بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم...

فأجبتها مؤكدا:هذه حقيقة، ويمكن إثباتها في أناجيل العهد الجديد، ذكر إنجيل يوحنا:

(إذا كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب معزياً آخر ليمكث معكم الى الأبد).:(يو-١٦:١٤:١٥) والمعزى:روح القدس الذي سيرسله الأب بأسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لك.(يو-١٦:٢٦).

وقد استدل مؤلف كتاب:(أنيس الاعلام في نصرة الإسلام) وهو قسيس اشتغل بطلب العلم وأثبت أن النصوص الآنفة الذكر من إنجيل (يوحنا) كلها تشير الى النبي محمدﷺ ولكن علماء الكتاب المقدس ومفسريه، هم الذين حرفوا معنى هذه الكلمة، وعلى أثرها اسلم الرجل.

قلت:ما رأيك لو احدثك بقصة ذكرها المؤلف...فابتسمت موافقة.

قصة

يقول الرأوي:

كان جدي من أكابر القسأوسة المسيحيين، تعلمت العلوم الدينية عند العلماء والمعلمين النصارى ومن جملتهم الأب (يوحنا بكير) والقس (يوحناي جاي) وغيرهم من فرقة البروتستانت، ومن فرقة الكاثوليك الأب (تالو) والقس (كوركز) وفي سن الثانية عشرة أكملت الدراسة الأولية، وتخرجت بدرجة قسيس، وأحببت التوسع في البحث عن العقائد والملل المختلفة، ولاسيما المذاهب المسيحية، وطفت البلدان الكثيرة من أجل العلم، إلى أن انتهى بي المطاف عند عظيم القسأوسة المطران صاحب المقام الرفيع في فرقة الكاثوليك، وكان صاحب منزلة، وشأناً عظيماً، ومشهوراً في ذلك المذهب، بعلمه وتقواه وزهده، بحيث إن الملوك والسلاطين والأشراف والرعية كانوا يلجؤون إليه في المسائل الدينية، وينهلون منه تعاليم دينهم، ويبعثون إليه بالهدايا الكثيرة، ويتشرفون

بالتبرك به، وقد تعلمت الأصول والعقائد للمذاهب المختلفة عن هذا العالم الجليل، وكان يحضر درس هذا الأستاذ الكثير من التلاميذ حتى يصل عددنا الى خمسمائة تلميذ، والكثير من الراهبات، وكانت لي مع هذا العالم علاقة خاصة، إذ كان يبدي أنسه ومحبته واحترامه الخاص بي، ولهذا فقد سلمني مقاليد المدرسة، المسكن والمخزن وغيرها، باستثناء مفتاح الغرفة الصغيرة الخاصة به، وكنت أظن أن فيها أمواله الشخصية، ولذا كنت أحدث نفسي وأقول:إن هذا العالم الجليل الزاهد في الظاهر لعله من أهل الدنيا، وإنه ترك الدنيا للدنيا، وامتدت مدة دراستي عنده الى ثماني عشرة سنة تقريباً...

في أحد الأيام نزل بالمطران الكبير مرض أقعده عن الدرس، وبقي في البيت، فخرجت الى التلاميذ معتذراً عنه، ورأيت التلاميذ مجتمعين يتباحثون في مسألة علمية، وكان حديثهم يدور حول كلمة (فارقليطا) بالسرياني و(برقليطوس) باليوناني والتي ذكرها (يوحنا) في إنجيله، نقلاً عن المسيح ﷺ، واختلفت الآراء وانتهى النقاش وانصرف التلاميذ دون الوصول الى نتيجة، وبعدها ذهبت الى غرفة المطران الأعظم...

سألني:يابني في أي الموضوع تباحثتم؟

فذكرت له تفاصيل ما جرى من حوارات، وسألته:وما رأيك فيها؟

فقال:لست مضطراً، ولكن الحق اقول إن هذه الأقوال جميعها غير صحيحة، لأنه لا يعرف معنى تفسيرها في زماننا إلا القليل من الراسخين في العلم.دنوت منه وجلست عند قدميه، واستعطفته قائلاً:

أيها الأب العظيم، إنك تعلم شدة تعصبي للمسيحية، وصرفت عمري في طلب علومها وتعاليمها، فرأيت عينيه وقد اغرورقت بالدموع وأجهش بالبكاء، وقال:إن المسيحيين سيقتلوننا معاً..!! إلا أن تعاهدني الله على إنك لا تفشي هذا السر في حياتي، ولا

تذكر اسمي بعد مماتي أيضاً، لأن المسيحيين إن علموا سيخرجوني من قبري ويحرقوني ...؟!

فأغلظت له الأيمان بالله العظيم القاهر الغالب، وبحق عيسى ومريم عليهما السلام.

ومن ثم نأولني مفتاح تلك الغرفة الصغيرة، وقال:افتح الصندوق الفلاني؟فذهبت ووجدت الكتابين باليوناني والسرياني على جلد قديم.

قال يابني:إن ترجمة لفظ (فارقليطا) هي بمعنى:أحمد ومحمود.والعلماء والمترجمون لم يكونوا مختلفين في معنى:(أحمد ومحمود) ولكن بعد ظهوره ﷺ فإن العلماء والقسأوسة حرقوا تلك الكتب والتراجم من أجل حفظ رئاستهم ومنافعهم الدنيوية.وأيضاً حسداً وعناداً وتكبراً، وابتدعوا معنى جديدا لهذا الإسم الشريف...؟! وهذا المعنى الجديد لم يكن أبداً المقصود لكاتب الانجيل، ويمكن بسهولة ومن خلال ترتيب ونسق الآيات الموجودة حالياً في انجيل (يوحنا) معرفة المعنى الحقيقي لهذا الاسم.

إن معنى:(المسلي - المعزي - روح القدس) لم يكن المقصود لكاتب الانجيل.لأنه لا يجوز اجتماع نبيين مستقلين صاحبي شريعة عامة في زمان واحد، بخلاف روح القداسة الذي نزل يوم العنصرة (يوم الخمسين) بعد المسيح عليه السلام لأنه مع وجود عيسى عليه السلام والحواريين نزل روح القدس عليه.إن روح القدس نزل على المسيح عليه السلام بعد تعميده من قبل يوحنا المعمدان بصورة حمامة.

أنظر:(٣/ ١٦-١٧)

سألت الحبر الأعظم:فما المانع من قبولك للإسلام، ومتابعة سيد الأنام، مع إنك تعلم فضيلة الإسلام، وإن متابعة النبي ﷺ هو طريق النجاة والصراط المستقيم المؤدي إلى الله جل وعلا؟

فأجاب يابني:إني قد اطلعت على هذه الحقيقة في أواخر عمري، وأنا شيخ كبير السن.وفي الحقيقة إني لا أستطيع ترك هذه الرئاسة العظيمة، والعزة والشأن والمقام الرفيع بين النصارى، ولكني في الباطن مسلم، وبحسب الظاهر نصراني، وإذا ما أعلنت إسلامي فإنهم سوف يقتلونني.

قلت له:إذن هل تأمرني أن أعتنق الإسلام؟

فقال:إن أردت النجاة يجب عليك قبول دين الحق، ولأنك شاب في مقتبل العمر، عسى أن يهيئ لك الله سبحانه أسباب الحياة الدنيوية، على أني أشهدك يوم القيامة، بأني من المسلمين والتابعين لسيد المرسلينﷺ، واعلم إن أغلب العلماء والقسأوسة الكبار في داخلهم لهم نفس معتقدي، وإلا فليس هناك أي شك أو شبهة في أن الإسلام اليوم هو دين الله على الأرض.إعتبرت كثيراً من قراءة هذا الكتاب وأدركت معاجز الرسولﷺ رغم المعاندين.

انظر كتاب:(أنيس الإعلام في نصرة الإسلام) ج١/ ص٦-١٩.

المبشر به في التوراة والانجيل، وهو نبي آخر الزمان، وإن الإسلام هو دين الحق.

معاجز النبي محمد ﷺ

فقالت لي أناي: إذا أنت قد آمنت؟

قلت: لا ما زلت ابحث، فأجابتني بهدوء: عندما صدع النبي محمد ﷺ بالرسالة والنبوة والدعوة الى الدين الإلهي الخاتم، طالبه قومه بالمعاجز والآيات لاثبات صدق دعواه، وكان الرسول ﷺ يستجيب لهم، ويلبي طلباتهم أحياناً، وبالقدر الذي يفي بالمقصود.

قلت لها: نعم يا أناي العزيزة انا اسمعك، لكني لا استطيع كبح جماح هذا البكاء الذي يعتريني اللحظة.

فقالت مبتسمة: أوه قربت المسافة... وأكملت حديثها مسترسلة...

لقد حفظ التاريخ الكثير من هذه المعاجز، وألفت كتب كثيرة في هذا الجانب، منها؛ اثبات كتاب: (الهداة بالنصوص والمعجزات) الكتاب من تأليف الشيخ الحر العاملي. وهو على ثلاثة مجلدات. وقد جمع فيه المئات من معاجز النبي ﷺ، وقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب نقلا عن كتب التاريخ الكثير من المعاجز التي جرت على يد الرسول الأكرم محمد ﷺ منذ ولادته وحتى وفاته، ولكن بالرغم من هذا فإن بعض المعاندين للإسلام انكروا أن يكون الرسول ﷺ قد أتى بمعجزة سوى القرآن الكريم. فمثلاً: القسيس الالماني (فندر) يذكر في كتابه: (ميزان الحق): (إن محمدا لم يأتِ بأية معجزة قط).

قلت: كيف... وهل هو بحث في هذه المعاجز، ليتوصل الى هذه النتيجة...؟

فمن الخطأ أن نعطي النتائج، دون التبحر في ماهية المنجز، وإلا فالسيد (فندر) لم يكن اكثر عداء من قريش للنبي ﷺ.

فقالت أناي:بل وأن الكثير من القسأوسة أثاروا مثل هذه الشبهة...

قلت غاضبا:هم جاهلون أو متجاهلون المعاجز الكثيرة التي ملأت صفحات التاريخ، وأعتقد أن كل هذا الادعاء الواهي، لا يستند إلى أي دليل علمي.وهو خلاف ما يقتضيه البحث والتحقيق المنصف، فلا يكاد يخلو كتاب تاريخي بعد البعثة النبوية الشريفة من معاجزه.

فأجابتني:وهل انت عرفت هذه المعجزات؟

أجبتها:نعم وهي كثيرة:

١- معجزة رد الشمس، وهي قضية مشهورة.

٢- شفاء المرضى كما في غزوة خيبر، عندما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أرمدا، فمسح النبي صلى الله عليه وآله بريقه الشريف على عيني الإمام فشفي.

٣- حادثة الشجرة واطاعتها للنبي صلى الله عليه وآله

٤- قصة الوليمة التي أطعم فيها النبي صلى الله عليه وآله أربعين رجلاً من عشيرته الأقربين بطعام لا يكفي سوى رجل واحد.

٥- المعجزة المشهورة التي ذكرها القرآن الكريم، وهي معجزة شق القمر، والحادثة مذكورة في أغلب كتب التاريخ.

قالت أناي:ألا ترويها لي؟

قلت:نعم، وهي معروفة، والحادثة باختصار:

إن المشركين اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا:إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فلقتين.فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله:إن فعلت هل تؤمنون؟

قالوا:نعم.وكان القمر في ليلة بدر.

فسأل رسول اللهﷺ ربه أن يعطيه ما سألوه:فشُق القمر فلقتين.ورسول اللهﷺ ينادي:يا فلان، يافلان إشهدوا:(الإلهيات ج٣/ ص٤٣٩) الإخبار بالمغيبات، كإخباره بأسماء الأئمة، والخلفاء من بعده، واحداً بعد واحد.

٧- القرآن الكريم المعجزة الكبرى الخالدة:تبقى المعجزة الكبرى والخالدة للنبيﷺ وهي الكتاب الإلهي الموحى (القرآن الكريم) خير شاهد على نبوته وصدقهﷺ وهذا الكتاب السمأوي هو اتم وأقوى دليل على أن النبيﷺ مرسل من قبل الله سبحانه وتعالى.

وأخذت هيئة القاضي ثانية:ألست تؤمن بأنه من تأليف محمد، ولا علاقة له بالسماء؟

فقلت لها:ألم أقل لك أن هذه العقيدة اشربت في نفوسنا واذهاننا منذ الصغر، وكثيراً ما كانوا يحذروننا من مطالعة المسيحية ومقدساتها بحجة أنها أسرار.

قصة المسيح وأمهعليهما السلام في القرآن الكريم

فقالت لي أناي:لقد لاحظت عند قراءتك القرآن، انك تركز على تلك الآيات التي وردت بحق المسيح وأمه، وكأن الى الآن فيك شيئا مما سمعت...

قلت لأناي:مهلا عليَّ فالامر ليس بالسهولة التي تظنين.

فقالت:إذاً حدثني عن القرآن الكريم، وما يحكيه عن اليسوع وأمه...فابتسمت لها:

يحكي القرآن قصة المسيحعليه السلام بشكل مختلف مما نقلته كتب العهد الجديد، القرآن يبدأ القصة بذكر إمرأة عمران (والدة مريم) فيذكر قصة حملها بمريم، وأنها نذرت ما في بطنها محررا، ليكون خادماً للمسجد.

فتلت لي أناي ما قاله تعالى:﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم**﴾ [آل عمران/ آية٣٥].

وأردفت:ويعني أسم مريم لغة؟

قلتُ:تعني الخادمة، فأرسلتها امها إلى المعبد، وسلمتها للكهنة، وكان بينهم زكريا﵇ فاختلفوا فيما بينهم أيهم يكفلها، فاتفقوا على القرعة، فكانت من نصيب النبي زكريا﵇ فكفلها زكريا، حتى إذا نبتت وبلغت ضرب لها من دونهم حجاباً تعبد الله سبحانه، لا يدخل عليها المحراب إلا زكريا...

قال تعالى:﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران/ ٣٧]

فاستدركت اناي:

ثم أن الله تعالى بشرها بولادة عيسى المسيح﵇ حيث أرسل الملاك إليها وهي محتجبة، وقد تمثل لها بشراً فبلغها البشارة؛ بأن الله سبحانه يهب لها طفلاً مباركاً يكون رسولاً إلى بني اسرائيل.وأخبرها بمنزلته العظيمة عند الله عز وجل، ثم نفخ فيها فحملت مريم﵇ بالمسيح﵇ حمل المرأة بولدها، والقصة كما يذكرها القرآن الكريم هي:

﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾ [مريم/ آية١٦]

ثم حان موعد الولادة المباركة:﴿**فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا**﴾ [مريم/ ٢٣] وهناك وضعت عيسى﵇ويذكر القرآن أول معاجزه﵇حيث كلم والدته في أول يوم ولادته، حيث يذكر القرآن قصة الولادة.يقول تعالى:

﴿**فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾ [مريم/ ٢٤]

ثم يقص القرآن كيف أن مريم العذراء عليها السلام جاءت بالمسيح عليه السلام إلى قومها، فلما رأوها والطفل معها، ثاروا عليها بالطعن واللوم، فسكتت وأشارت إليه عليه السلام أن كلموه، فتعجبوا من ذلك؛ إذ كيف يمكن التكلم مع طفل ما زال في المهد، فنطق الطفل المعجزة بكلام رائع يحكيه القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ [مريم/ ٣٠]

ثم نشأ عيسى عليه السلام وشب وترعرع.وكان وأمه على العادة الجارية في الحياة الدنيوية الطبيعية للبشر يأكلان ويشربان، وفيهما ما في سائر الناس من عوارض الوجود إلى آخر عمرهما، ثم أن عيسى أرسل إلى بني اسرائيل، فقام يدعوهم إلى دين التوحيد، وكان يدعوهم إلى الشريعة الجديدة المطابقة لشريعة موسى عليه السلام.

قال تعالى:﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [مريم/ ٤٦].

إلا أنه نسخ بعض ما حرم الله في التوراة، والتي كانت تشديداً على اليهود،

قال تعالى:﴿**وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ [آل عمران/ ٥٠]

وقد جاء ببينات ومعاجز كثيرة يذكرها القرآن وذلك في قوله تعالى:

﴿**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران/ ٤٩]

ثم أنه من خلال دعوته بشر بالنبي الخاتم الرسول الأكرم محمدﷺ إذ ينقل البشارة عن لسان عيسىﷺ بقوله:﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ [الصف/ ٦]

ولم يزل عيسىﷺ يدعوهم إلى التوحيد والشريعة الجديدة، حتى أيس من إيمانهم لما رآه من استكبار وعناد الكهنة والأحبار عن قبول الدين والرسالة التي جاء بها، فانتخب من بين اتباعه الحواريين، ليكونوا انصارا إلى الله سبحانه، قال تعالى:﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران/ ٥٢]

وأيضاً يذكر القرآن الكريم قصة نزول المائدة من السماء على عيسىﷺ وحوارييه الذين طلبوا منه هذه المعجزة لتطمئن قلوبهم. قال تعالى:﴿**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [المائدة/ ١١٤] ثم أن أحبار اليهود وعلماءهم ثاروا عليه يريدون قتله وشُبه لليهود أنهم قتلوه وصلبوه، يقول تعالى:

﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾ [النساء/ ١٥٧].

فتوفاه الله سبحانه وتعالى ورفعه إليه، قال تعالى:﴿**بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء/ ١٥٨]

فهذه مجمل ما قصه القرآن في المسيح وأمه القديسة عليهما السلام.

الصديقة مريمﷺ في القرآن الكريم

فقالت أناي، وهي تلمح لشيء ادركه انا تماما:إذا هذه هي الحقيقة، وليس كما يقول ابوك؟قلت:صدقيني لو ادرك أبي ما ادركته، وعاش نفس الظروف التي بينت لي الحقيقة، ربما اعلن الغفران وتاب واسلم، فمريم عليها السلام هي المرأة الوحيدة التي قصّ القرآن قصتها بالتفصيل فينقل القرآن عنها:

١ـ إن الله اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، كما في قوله تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران/ ٤٢]

٢ـ كانتﷺ مقبولة عند الله تبارك وتعالى.وقد تكفّل الله سبحانه تربيتها وانباتها كما في قوله تعالى:﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران/ ٣٧]

٣ـ كانت محدثة حدثتها الملائكة، وهي الوحيدة من النساء اللاتي ذكر القرآن إن الملائكة قد حدثتها كما في قوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ [آل عمران/ ٤٥]

٤ـ كانت من آيات الله للعالمين كما في قوله تعالى:﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء/ ٩١] وغيرها من الأوصاف الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم عن الصديقة مريمﷺ.

قلت لها:لقد اكتشفت وأنا أقرأ القرآن، الكثير من كذب أهلنا وتضليلهم العجيب.

السيد المسيح عليه السلام في القرآن الكريم

فاستدركت أناي بحزم:

وهناك ما زال الكثير من المقامات الرفيعة التي خُصّ بها هذا النبي المقرب حيث كان المسيح عليه السلام عبداً لله ونبياً كما في قوله تعالى:﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ [مريم/ ٣٠] وكان رسولاً إلى بني اسرائيل، قال تعالى:﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [آل عمران/ ٤٩] وكان واحداً من الخمسة أولي العزم، صاحب شرع وكتاب وهو الانجيل، قال تعالى:﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أوحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى**﴾ [الشورى/ ١٣]

فأكملت أناي: وقال تعالى:﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة/ ٤٦] وكان عليه السلام قد سماه الله سبحانه بالمسيح عيسى، وهو وجيه في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، كما في قوله تعالى:

﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ [آل عمران/ ٤٥]

٥- كان عليه السلام كلمة الله وروحاً منه، كما في قوله تعالى:

﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ**﴾ [النساء/ ١٧١]...وكان عليه السلام من الصالحين والمجتبين، قال تعالى:﴿**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [الأنعام/ ٨٥]...وكان عليه السلام مباركاً أينما كان، وكان زكياً باراً بوالدته، قال تعالى:﴿**وَجَعَلَنِي**

﴿مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم/ ٣١- ٣٢]...وكان عليه السلام ممن علمه الله الكتاب والحكمة، قال تعالى:﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [آل عمران/ ٤٨].

وكان عليه السلام مسلِّماً على نفسه، قال تعالى:﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم/ ٣٣]...وكان مبشراً برسول الله ﷺ كما في قوله تعالى:﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف/ ٦].

المحاورة الالهية

وتسألني ماذا استنتجت، وأنت تقرأ في القرآن الكريم تلك المحاورة الالهية الممتعة بينه جل علاه، وبين يسوع المسيح؟

قلت:أولا انظري للأدب العالي، والعبودية التامة، لهذا النبي أمام رب العزة، وكيف ينفي ما نسب إليه من ألوهية.وأنه بريء من هذه العقائد الباطلة، فيقول سبحانه وتعالى:﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة/ ١١٦- ١١٩]

فابتسمت لي أناي وقالت:إذا المسيح ينفي بشدة ما ينسبه المسيحيون إليه من مقام الألوهية...قلتُ لها:ويبدو اننا وصلنا الى اتفاق لم يعلن بعد، هل تدرين ما قاله العلامة الطباطبائي في تفسيره القيِّم:(الميزان) عن هذه المحأورة، وهذا الكلام العجيب؛ إن المسيح﵇ كان يرى نفسه بالنسبة إلى ربه عبداً لا شأن له إلا الامتثال والطاعة لسيده وخالقه، لا يرد إلا عن أمر ما أمر به ربه عزّ وجلّ:﴿**أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**﴾ ولم يكن له من الناس إلا تحمل الشهادة على أعمالهم فحسب، وأما ما يفعله الله تبارك وتعالى فيهم وبهم يوم يرجعون إليه، فلا شأن له في ذلك، غفر أو عذب.والمسيح﵇ بهذا البيان أيضاً ينفي كونه فادياً ومتحملاً للخطيئة عوضاً عن الناس كما يزعم المسيحيون، ليفعلوا بذلك ما يشاؤون من الفواحش والمنكرات بحجة أن المسيح﵇ سيتحمّلها نيابة عنهم...!

المقارنة الذكية

قالت لي:تذكرني بشيء ربما نسيته بعض الوقت؛ ما رأيك ان نقارن بين ما ذكره القرآن الكريم في شخصية النبي عيسى بن مريم﵇، وماذكرته اناجيل أهلك؟

قلت لها:ما هذه الخشونة معي؟! والله لم يبق لدي سوى ان أعلنها صراحة، حتى وان لم تنضج بعد، وارتاح من هذه المسائل التي تربكيني بها كل يوم، ثم اين كنت ايام لم أكن ابصر هذا الوعي، وهذا الايمان؟الآن جئت بعد كل هذا المخاض لتحاسبيني؟ولتتخلي عني؟وكأنك لم تكوني نائمة!! لماذا لم توقظيني قبل هذا المعترك الفكري وليالي السهر والضنى والالم؟على كل حال هي عملية جميلة لكنها واضحة وضوح الشمس، فالإنجيل (العهد الإلهي) قد وصف هذا النبيﷺ من أوصاف يأباها العقل والذوق السليم:

١- المسيح﵇ صانع الخمر (الجيد)...!

من المؤسف حقاً أن يُنسب هكذا فعل إلى النبي المكرم المسيح عليه السلام والأعجب أن يكون الأمر من أمه الصديقة مريم عليها السلام فنحن نعلم أن الخمر قد حُرم في شريعة موسى عليه السلام ولكن نجد في العهد الجديد أن المسيح عليه السلام لم يكتفِ بأنه لم يحرمه بل هو الذي يصنع الخمر (الجيدة) المسكرة ليذهب بعقول الناس، وأنا أذكر وللاعتقاد الراسخ في نفوسنا بحرمة الخمر، كنت أسأل والدي عن أسباب حرمة الخمر، فكان يحدثني عن مضار الخمر. وكلما كانت تذكر هذه المعجزة كان بعض المتدينين يحأولون تفسير هذه المعجزة بشكل أو بآخر، ويجيبون بأن هذه الخمرة التي صنعها المسيح عليه السلام لم تكن مسكرة، ولكن الانجيل يرى خلاف ذلك، وهذه المعجزة لم تذكر إلا في انجيل (يوحنا) في الإصحاح الثاني، فيذكرها كأول معجزة صدرت من النبي عيسى المسيح عليه السلام فيقول:

في اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل، وكانت أم يسوع هناك ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر؟ قال لها يسوع: مالي ولك يا إمرأة. لم تأتِ ساعتي بعد..!

قالت أمه للخدام: مهما قال لكم فافعلوه، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة،

قال لهم يسوع: املأوا الأجران ماء. فملأوها إلى فوق، ثم قال لهم: استقوا الآن، وقدموا إلى رئيس المتكأ فقدموا، فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرا، ولم يكن يعلم من أين هي، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا بذلك، دعا رئيس المتكأ العريس، وقال له: كل إنسان إنما يصنع الخمر الجيدة أولاً، ومتى ما سكروا، فحينئذ يسقيهم الخمر الرديء (الدون)، أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن، هذه بداية الآيات فعلها يسوع فأنا الجليل وأظهر مجده.

فالظاهر من حديث رئيس المتكأ أن الخمر التي صنعها المسيح﵇ كانت من الخمر الجيدة، والتي تُعطى عادة في الاعراس أولاً، حتى يسكر الناس فتذهب عقولهم، ثم يأتون بالخمر الدون (الرديئة) بعد ذلك فلا يميز بينها الناس وبين الخمر الجيدة لسكرهم.

فضحكت حينها أناي وقالت:والله صرت لا أدري هل جاء السيد المسيح﵇ لتنوير العقول وإرشادها إلى الحق أم لتخديرها وإتلافها؟!

٢- المسيح والعقوق ...!

تنسب الأناجيل إلى المسيح﵇ أنه لم يكن باراً بوالدته بل أنه كان ينهرها بشكل غير لائق، فخلال قصة الخمر الآنفة الذكر مثلاً تطلب منه أمه أن يصنع لهم خمرا ولكنه ينهرها بحدة كما تنقل القصة قال لها يسوع:مالي ولكِ ياإمرأة ؟! بل إنه لا يعتبرها ضمن المؤمنين، ويحط من منزلتها امام تلاميذه، كما ينقل لنا إنجيل (متي) ذلك في الإصحاح الثاني عشر.

التعاليم الإسلامية تشمل كافة مفاصل الحياة

وهكذا صحوت من غفوتي، وصرت أنظر الى الامور من منظار العقل والرؤية المتزنة التي تبدأ بتحليل الاشياء والاغراض والافعال والغايات، اشياء قد أعجز عن التعبير عنها، تأخذني الفرحة في نفسي، فما من أمر إلا وله حكم معين في هذه الحياة، وما أجمل ان تنظر اليها من خلال الشريعة المقدسة، فهو إما أن يكون واجبا أو مستحبا أو مباحا أو مكروها أو حراما، وتضمن هذه الشريعة للانسان الذي يتمكن من إخضاع كل أفعاله لأحكامها الشرعية من العيش سعيدا في الدنيا والآخرة.والذي يبهجني حقا ان كل تلك الطقوس والعبادات تتآلف مع الفطرة الانسانية، ليس فيها تكاليف شاقة ولا تطاق كما كنت أعتقد، بل لم يكلف الله فيها نفسا إلا وسعها، وما جعل الله فيها من حرج، فالاسلام

يرفض الرهبنة والانزواء عن المجتمع، وكذلك نهى عن الانغماس كليا في الحياة الدنيا، بل تعاليمها تعتبر النمط الأوسط بين هذه وتلك.ويمكن تقسيم الشريعة الإسلامية إلى قسمين:أولا:جوانب عبادية وطقوس دينية:

وهي تعتبر وسيلة لتمرين النفس على التوجه إلى الله تعالى، والانقياد إلى طاعته، وتوثيق الرابطة بين العبد ومولاه، واعتقد أنها في هذه الجانب موافقة مع المسيحية في أن الأعمال العبادية موجبة للقرب من الله العظيم، وهذا ما نجده في حالات المسيح﵇ من كثرة وشدة العبادة التي نقلتها لنا كتب العهد الجديد، فقد صام أربعين نهارا، وأربعين ليلة، وصار مع الوحوش في البرية.وكان يأمر تلاميذه بأن لا يملوا من الصلاة أبداً.

فقالت حينها أناي:ولكن العبادات التي جاء بها الإسلام تختلف كثيرا عما هو موجود في المسيحية، من حيث الكمية والكيفية، فالصلاة مثلا تلزم الشريعة الإسلامية الإنسان بأدائها خمس مرات يوميا، وبكيفية خاصة فيها قيام وركوع وسجود، في حين أن الصلاة في المسيحية تقتصر على بعض الصلوات والقداس الكبير يوم الأحد، وهي كما تعلمتها في الكنيسة وكنت أمارسها، لا سجود فيها ولا ركوع، بل كل ما في الأمر هي قراءة بعض نصوص من الإنجيل مع تراتيل وأناشيد خاصة، ونحن جالسون على المقاعد أو واقفون، وبعد ذلك نذهب لإعلان التوبة والاعتراف.

فاندهشت أناي، وكأنها تجهل الامر الذي تعرفه قبل سواها...حين قلت لها:

إن الذي وجدته شخصيا من خلال ممارستي لكلا الصلاتين هو الفرق الكبير بينهما، ففي الصلاة التي أمر بها الإسلام يشعر الإنسان من خلال ركوعه وسجوده لربه وخالقه العظيم، حالة من الخشوع ونوع من الارتباط والقرب منه سبحانه، في حين لا يشعر الإنسان ذلك في الصلاة الكنيسية.

فقالت أناي فرحة:وأعتقد أن الصلاة في المسيحية هي الأخرى قد حُرِّفت، فإن العهد الجديد عندما كان ينقل لنا الصلاة التي كان يؤديها المسيح﵇ كان يخرّ على وجهه ساجدا في صلاته، كما تذكره الأناجيل في ليلة التسليم:(ثم تقدم قليلا وخرّ على وجهه وكان يصلي).في حين أن صلاتكم الحالية لا أثر للسجود فيها.(متي:٢٦ :٣٩)

ثانيا:الجوانب الاجتماعية والمعاملات بين الناس: الشريعة في أحكامها هذه تسعى لتنظيم الأمور المعيشية والحياتية في المجتمع بشكل يؤدي إلى نشر العدالة والألفة والمحبة بين أفراده، ومراعاة المصالح العامة التي تؤدي إلى استقرار ونظم المجتمع.والشيء اللافت للنظر حقا في هذه الأحكام والقوانين أنها جاءت قبل أربعة عشر قرنا، ولكنها إلى يومنا هذا تعتبر من أرقى القوانين التي توصل إليها العقل البشري في طول هذه المدة، وهذا ما اعترف به الكثير من العلماء في المجالات والعلوم المختلفة، وهذا دليل قوي آخر على أن مصدر هذه الشريعة هو السماء والوحي، إذ أنه من المستحيل أن تكون من فكر وخيال رجل عاش وترعرع في الجزيرة العربية التي كانت منغمسة في ظلمات من الجهل والتفكك، والتي كانت تسودها عادات وتقاليد وأحكام يكاد لا يُشم منها رائحة الإنسانية.فلا يبقى شك ولا ريب في أن هذا الرجل كانت له علاقة ورابطة بالسماء، وأنه النبي الخاتم الذي بشر به المسيح﵇ في الإنجيل.

إنه الجهاد الذي له طعم ولذة

فأجبتها:لابد لنا أن نؤمن بأن الذي ذكرته في هذا السبيل، هو نبذة مختصرة عن الرحلة التي لابد أن تنتهي في مسارها الصحيح، وإلا فهي رحلة عبث لم نجن منها سوى تعب الرأس، وقالت:ما دمت انت في طور البحث عن الحقيقة، أو لنقل انك توصلت الى

خاتمتها، لاتنسَ مسألة واحدة؛ وهي المسألة الأخلاقية والروحية، والسلوك العرفاني في الإسلام والمسيحية، والطرق والمسالك التي تبناها الاثنان لوصول الإنسان إلى كماله النهائي، وهو القرب من خالقه وربه، وفق النظرية الإلهية.

قلت لها:يا أناي أيتها الرائعة في السفر، انا سأفرد ان شاء الله تعالى بعضا من الوقت في الكتابة عن هذا الموضوع بشكل مفصل، إن شاء الله تعالى.وبدا الحديث مع اناي يأخذ شكلا آخر، وهي تسألني:وهل نويت تدوين هذه الرحلة؟

قلت:بكل تفاصيلها وألمها وقلقها...

فسألتني:وما الذي يدفعك للتدوين؟

فأجبتها سؤالك هذا جميل، هو احساسي وشعوري بالمسؤولية الإنسانية اتجاه أبناء جلدتي، عسى أن يكون صوتا للحق يقرع آذان قلوبهم، فيستفيقوا من نوم الغفلة.حقيقة اشعر أن هذا الامر يأخذ كل فحوى ما اريد أن أدونه لكم فأغلب أفراد العائلة البشرية يعيش – وللأسف الشديد – مبتعدا عن الهدف الأساس الذي خلقنا من أجله، وصار الهم الشاغل لهم هو الدنيا، والانشغال بزينتها وزخرفها، وأما الدين والمسائل الروحية والحب الإلهي، أصبحت أمورا هامشية عند أغلب الناس أو أنهم غفلوا عنها كليا...

قلت لنفسي ولأناي:إذا هي الصحوة، فلاكون بمستوى هذا الادراك الوافي، واعلنها صريحة امام نفسي وامام الناس كلها ولتكن هي الصرخة التي ستهز مضاجع العابثين، لِمَ لا...والصوت المعارض في قد اندحر مهزوما، فلم يعد امامي إلا رؤية واحدة ألا وهي التفكير دون نقيضه، الآن صرت ادرك تماما ان مانحمله من عقائد وتعاليم مسيحية هي تعاليم خاطئة لاتمت للصواب بأي صلة وإلا فالمسيح جاء برسالة توحيدية لاعلاقة لها

بالوثنية المعهودة اليوم، لاعلاقة لها بالتثليث ولا بالبنوة، أوه...كيف كنا نستهزئ بالعبادات والطقوس الاسلامية؟!

من المؤكد ان مثل هذه السخرية نابعة من الجهل وعدم الفهم، لقد عرفت أخيراً أن لهذه الطقوس سمات عدم مخالفتها لفطرة الإنسان أبداً فليس فيها تكاليف شاقة أو تكاليف لا تُطاق كما كنت أعتقد، وانكشفت الحقائق أمام عيني جلية وكتبت هذا السبيل الذي كان سبيل رشادي وهدايتي لطريق الحق.وعرفت أن لابد من مواجهة الصعوبات فقد أهجر أحبائي وأصدقائي وأقع في محاربة أهلي وأقاربي وقد تضيق عليَّ سبل العيش ولكنه الجهاد الذي له طعم ولذة، حتى إنني في إحدى الليالي بدأت أتضرع الى ربي وخالقي ببكاء وصدق ومن أعماق قلبي وأطلب منه المعونة لإخراجي من حيرتي وارتباكي يا الله يا ربي ويا خالقي كن معي يا رب وضع لي نهاية لهذا القلق الذي أجهدني، وفي صباح اليوم التالي أحسست انشراحاً كبيراً في صدري وشعرت في نفسي بقوة عظيمة لم أعهدها من قبل حطمت بها كل الحواجز والوسأوس التي كان يضعها الشيطان في طريق هدايتي، واتخذت أصعب قرار في حياتي بكل سكينة واطمئنان وقررت أن أعتنق الإسلام وأتبع سبيل الحق، لذلك وقفت امام اصدقائي بكل شجاعة وحزم أعلنت إسلامي وأعلنت تشيعي لأهل البيت عليهم السلام.

وهذه دعوة لكل مسيحي حر باحث عن الحق والحقيقية، أن لا يكتفي بقبول ما يلقى إليه من قبل الكنيسة على أنه من الأمور المسلمة واليقينية، بل ليجد في البحث والتحقيق العميق في عقائده وأمور دينه، لأنها مسألة ذات أهمية كبيرة، فإن الحياة الأخروية الأبدية التي نحن مقبلون عليها، سعادتها وشقاءَها ما هي إلا نتيجة لعقائدنا وأعمالنا في حياتنا

الدنيا، فالدنيا مزرعة الآخرة، فيجب إعطاؤها اهتماما كثيرا من فكرنا ووقتنا، وهذا أمر عظيم وخطير، فحري باللبيب أن يجهد نفسه وفكره في انتخاب الطريق الصحيح الذي يوصله إلى السعادة في ذلك العالم، وأخيرا فإن الإنسان الذي يروم اتباع الحق بعد كشفه للحقيقة لا بد أن يواجه مشاكل وصعوبات كثيرة، فقد يحارب من قبل أهله وأقاربه، ويهجره أحباؤه وأصدقاؤه، وقد تضيق عليه سبل العيش، ولكنها كما أعتقد لها طعم ولذة خاصة لأنها في عين الله، وحبه، ولأجله سبحانه وتعالى، وبالتأكيد فإن الله الرب الرحيم سيخلفه بدلا عنها الرضا والقناعة في الدنيا، والسعادة والعيش في جنة النعيم عند مليك مقتدر في الآخرة.

وارتأيت أن يكون مسك الختام لهذا السبيل، آيات من الكلام الإلهي الموحى (القرآن) تحكي قصة رجل مؤمن يدعو قومه إلى الحق:

﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ*اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ*وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ*أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ*إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ*إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ*قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ*بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهرس

تمهيد ٥

التقليد الأعمى ٨

أسرار أم تناقضات ١١

التأمل الواعي..... ١٧

التعريف بالكتاب المقدس ١٧

العهد الجديد ٢١

سفر أعمال المرسلين ٢٣

نقاشات فكرية..... ٢٦

برهة صمت..... ٢٦

إنسان أم إله؟..... ٢٩

المسيح والشريعة..... ٣٠

البشارة..... ٣٢

قصة..... ٣٣

معجز النبي محمدﷺ..... ٣٧

قصة المسيح وأُمهعليهما السلام في القرآن الكريم..... ٣٩

الصديقة مريمعليها السلام في القرآن الكريم..... ٤٣

السيد المسيح ﷺ في القرآن الكريم ٤٤
المحاورة الإلهية..... ٤٥
المقارنة الذكية..... ٤٦
التعاليم الإسلامية تشمل كافة مفاصل الحياة ٤٨
إنه الجهاد الذي له طعم ولذة ٥٠
الفهرس ٥٥